مواجهة القرآن الكريم للإشاعة في ا لمجتمع المسلم

د. نواف مزيد حسن السريحي
دكتور منتدب في كلية التربية الإساسية قسم الدراسات الإسلامية
في الهئية العامة للتعليم التطبيقي، ودكتور في إدارة الدراسات
الإسلامية في وزارة الأوقاف الكويتية

مواجهة القرآن الكريم للإشاعة في المجتمع المسلم

نواف مزيد حسن السريحي

قسم التفسير وعلوم القرآن- كلية التربية الإساسية قسم الدراسات الإسلامية في الهئية العامة للتعليم التطبيقي ودكتور في إدارة الدراسات الإسلامية في وزارة الأوقاف الكويتية

البريد الإلكتروني:n.k.m.22@hotmail.com

الملخص :

إن خطر الإشاعة وعظم أثرها المدمر في المجتمع الإسلامي ، وإنها من أهم الأسلحة الفتاكة التي يستخدمها المنافقون في تدمير المجتمع ، وقد اهتم الشرع الحكيم بموضوع الإشاعة والقضاء عليها، والمجتمع المسلم بيئة غير صالحة لابتداء الإشاعة وانتشارها، كما لم يخض المجتمع الإسلامي في المدينة- في مجمله- في الإشاعة، ويعد تكاتف المجتمع الإسلامي يؤدي إلى قمع الإشاعة، وأيضا يزداد خطر الإشاعة في حالات منها الحروب وفي قذف الأعراض، وقد نبهنا الله تعالى على أساليب اليهود في كتابه وهم اليوم يستخدمونها فيجب على أولي الأمر التنبه لذلك، واستفاد العلماء المسلمون الأوائل ومن تبعهم من أمر الله تعالى بالتبيّن أو التثبت إن كان الناقل للخبر فاسقا في نقل الأخبار ومعرفة الصحيح منه من السقيم، الاشتغال بالمهم والصالح الذي ينفع الناس ، ويؤدي إلى ترك الاشتغال بتأليف الشائعات ونشرها.

الكلمات المفتاحية : مواجهة – للإشاعة – المجتمع – الإسلامي

Facing the Noble Qur'an for rumors in the Muslim community

Nawwaf Mazyed Hassan Al-Suraihi
Department of Interpretation and Quranic Sciences - College of Basic Education, Department of Islamic Studies in the General Authority for Applied Education, and a doctor in the Department of Islamic Studies in the Kuwaiti Ministry of Endowments
Email: n.k.m.22@hotmail.com

Abstract

The danger of rumor and its destructive impact on the Islamic community, and it is one of the most lethal weapons that the hypocrites use in destroying society, and the wise law has been concerned with the issue of rumor and its elimination, and the Muslim community is an environment that is not suitable for the initiation and spread of rumor, just as the Islamic community in Medina - in its entirety - has not gone through. - In rumor, and the solidarity of the Islamic community leads to the suppression of rumor, and also the danger of rumor increases in cases including wars and throwing symptoms, and God Almighty has warned us about the methods of the Jews in his book and they are today using them, so the leaders of the matter must pay attention to that, and the early Muslim scholars and those who followed them benefited From the command of God Almighty to clarify or prove that the carrier of the news is an evildoer in transmitting the news and knowing the correct from him from the sick, engaging in important and good things that benefit people, and lead to abandoning the work of composing and spreading rumors.

Key Words: Confronting - Rumor - Society - Islamic

مقدمة

الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إلـــه إلا الله وأشـــهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدي الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فإنه لايضر إلا نفســـه ، ولا يضـــر الله شيئا.

أما بعد

فنظرا وذلك لانتشار وسائل الإعلام المختلفة التـــي تـــدخل كـــل دار ولا يسلم من تأثيرها أحد من الناس، وقد تنوعت وسائل الإعلام من تلفـــاز ومذياع وحتى الهواتف النقالة في نقل الشائعات ، وذلك يستدعي دراسة مثل هذه المواضيع الحيوية وإيجاد الحلول المناسبة لها .

ولقد كانت الإشاعة بين الناس كأنها جزء لا يتجزأ مـــن المجتمـــع ، أو هي من ضرورات الحياة على الرغم من ضررها – فلا يكاد يخلو منهـــا مجتمع من المجتمعات ، ولكن لو فرضنا أن هناك مجتمعا مثاليا فإن الإشاعة لا تكون فيه قطعا ؛ لأنها مظهر سلبي من مظاهر الحياة.

سبب اختيار الموضوع

إنني لم أطلع على دراسة منهجية متكاملة من خلال القـــرآن الكـــريم تعالج هذا الموضوع ، لذا رأيت أن أكتب في هذا الموضوع خدمة لكتاب الله تعالى ، وإظهارا للأساليب الشرعية في معالجة الإشاعات راجيـــا مـــن الله تعالى أن يوفقني لما يحب ويرضى ، ويعينني على تحسين النية له ســـبحانه لا لغيره .

منهج البحث

سوف أقوم بإذن الله تعالى باستخدام المنهج الاستقرائى التحليلى ، وسأقوم بحول الله وقوته بعزو الروايات المتعلقة بتفسير القرآن الكريم إلى كتب التفاسير المعتمدة ، وسأسند الأقوال إلى أصحابها وأعزوها إلى كتبهم التي ألفوها مبينا الجزء والصفحة ، وأضع ما أنقله عنهم بين قوسين لأميزها عن الكلام الذي أكتبه من عندي ، وإذا كان الكلام مختصرا أو فيه تصرف يسير فسأوضح ذلك في الهامش ، ثم أقوم بتخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية من كتب الحديث .

أما الأعلام الذين سيتم ذكرهم في بحثى فسوف أقوم بترجمة يسيرة عنهم في الهامش ، وذلك من كتاب الأعلام للزركلي ، وإذا كانت الترجمة من غيره فسأبين ذلك في موضعه ، ولن أترجم للصحابة وذلك لشهرتهم وعدالتهم ، وإذا احتجت لترجمة أحد الصحابة فسأترجم له في متن الرسالة ، أما الكتاب المعاصرون فلن أترجم لهم .

وسوف أتكلم في هذا البحث عن الإشاعات التي ذكرها الله تعالى في كتابه ، أو التي وردت في تفسير بعض الآيات، أما التي تعددت مرحلة الإشاعة إلى أن تكون أسطورة أو عقيدة يمشي عليها الناس في حياتهم ، إلا في إشارة عابرة أو لحاجة إليها.

الدراسات السابقة :

لم أجد من خص هذا الموضوع بالتأليف من علمائنا السابقين ، ولكن كتب فيه مجموعة من المعاصرين من العلماء المسلمين ، ومن غيرهم فقد تناولوا هذا الموضوع من جوانبه المتعددة ، ولم أجد من كتب هذا الموضوع من علمائنا القدماء والمعاصرين من وجهة شرعية إلا نادرا ، منهم الدكتور أحمد نوفل في كتابه (الإشاعة) ، وهو كتيب صغير الحجم من القطع الصغيرة ، كما كتب فيه الأستاذ عبد العزيز محمد بن عبد الله السدحان كتابا سماه : (أخي أحذر الإشاعة) ، وهو كتاب منشور في الشبكة العنكبوتية مكونا من ٢٦ صفحة .

ولكن للأمانة العلمية والتاريخية فإن أول من كتب في موضوع الإشاعة في هذا العصر هم من علماء الغرب ، فقد اشترك اثنان من علماء الغرب بتأليف كتاب أسمياه : (سيكولوجية الإشاعة) ، وهما: جوردون أولبورت وليو بوستمان ، وقد لاحظت أن أكثر من كتب بعدهما نقل عنهما ، واعتمد على ما كتبا فيه ، وذلك من العلماء الغربيين أو من علمائنا المعاصرين .

أما من كتب من علمائنا في هذا الموضوع فإن أشهرهم :

١ الدكتور أحمد نوفل في كتابه (الإشاعة) .

٢ الدكتور إبراهيم خضر الداقوقي في كتابه (دور الإعلام في ترويج ومكافحة الإشاعة) .

٣ الدكتور فهمي توفيق مقبل في كتابه (دور المؤسسات التربوية في مكافحة الإشاعة)

٤ الدكتور فهمي مقبل توفيق مقبل / أستاذ بكلية التربية جامعة الملك فيصل / السعودية في كتابه (دور المؤسسات التربوية في مكافحة الإشاعة) .

٥ الأستاذ عبد العزيز محمد عبد الله السدحان في كتابه أخي احذر الإشاعة ، وهو كتاب منشور في الشبكة العنكبوتية .

كما أن هناك كتابات مبثوثة في الصحف والنشرات العلمية ، أو عولج هذا الموضوع ضمن مواضيع أخرى، وهي على قلتها ، ولكن أقل ما يقال أن هذا الموضوع لم يكن هملا من الكتاب والمفكرين الإسلاميين.

وقد حاولت أن أتتبع جميع من كتب قبلي في هذا الموضوع فلم أجد إلا ما ذكرته ، ولم أجد من كتب في هذا الموضوع كتابة موضوعية منهجية، وذلك حسب علمي والله أعلم .

خطة البحث :

وتتضمن الخطة مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة ، وهي كالتالي :

المقدمة : وتحوي أهمية الموضوع ، وأسباب اختياري له والمنهج المتبع في البحث وخطة الدراسة.

التمهيد : تعريف الإشاعة لغة واصطلاحا .

المبحث الأول: خبر الفاسق والتثبت من الأخبار .

المبحث الثاني: رجوع المهاجرين إلى مكة بسبب الإشاعة .

المبحث الثالث: إشاعة التبني .

المبحث الرابع : الظهار كإشاعة في المجتمع .

الخاتمة : وبها أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الدراسة .

أما الصعوبات التي واجهتني في هذا البحث فهي :

١ لم أجد من أفرد هذا العلم بالتأليف من علمائنا السابقين أو السلف الصالح .

٢ ندرة من كتب في هذا الموضوع من علمائنا المحدثين .

٣ أكثر من كتب في هذا العلم لم يؤلف كتابه من الوجهة الشرعية .

٤ التشريعات الوضعية أغفلت في كثير من جوانبها موضوع الإشاعة .

٥ لم يدرج مثل هذا الموضوع في الكتب التربوية أو الإعلامية .

تمهيد

تعريف الإشاعة

وسوف نرجع في هذا الفصل إلى معاجم اللغة ليتبين لنا المعني اللغوي ، وقد اخترت ألا آتي من معاني الكلمة إلا التي تقرب لنا المعنى الاصطلاحي المستخدم حاليا ، ثم نرجع إلى تعاريف المحدثين في المسألة التالية ليتضح لنا المصطلح الخاص بلفظ الإشاعة .

المسألة الأولي تعريف الإشاعة لغة :

جاء في القاموس المحيط : (شاعَ يَشيعُ شَيْعاً وشُيوعاً ومَشاعاً وشَيْعوعَةً كدَيْمومَةٍ وشَيَعاناً محركةً: ذاعَ وفَشا . وسَهْمٌ شائِعٌ وشاعٌ ومُشاعٌ)[١]، ثم قال:(وشاعَكُمُ السَّلام كمالَ[٢]: عَلَيْكُم أو تَبعَكُم أو لا فَارَقَكُم أو مَلأَكُم السلام . وشاعَكُم اللهُ بالسَّلام)[٣]، وجاء في تاج العروس:

(شاعَ الخبَرُ في النّاسِ يَشيعُ شَيْعاً بالفتح وشُيوعاً بالضَّمَّ ومشاعاً بالفتح وشَيْعوعَةً كدَيمْومَةٍ وشَيَعاناً مُحَرَّكَةً اقتصر الجَوْهَرِي منها على الرَّابعِ فهو شائعٌ : ذاعَ وفَشا وظَهرَ وانْتَشَرَ وقولُهم : هذا خَبَرٌ شائعٌ وقد شاع في النَّاس معناه : قد اتَّصلَ بكُلِّ أحَدٍ فاستوى عِلْمُ النّاس به ولم يكن علمُه عند بعضِهِم دونَ بعض)[٤]

وجاء في مختار الصحاح : ([شيع] ش ي ع : شاعَ الخبر يشيع شيْعُوعَةً ذاع وسهم مُشاعٌ وشَائعٌ أي غير مقسوم وأشاعَ الخبر أذاعه)[٥].

---

١ القاموس المحيط ٩٤٩/١ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزى آبادى تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة الثانية سنة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧ م

٢ الكاف للتشبيه يعنى وزنها كوزن مال

٣ القاموس المحيط ٩٥٠/١

٤ تاج العروس من جواهر القاموس ٢٥٦/١١ محمّد بن محمّد بن عبد الرازّق الحسينى دار الفكر طبعة سنة ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م

٥ مختار الصحاح صفحة ٣٥٤ محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى تحقيق محمود خاطر مكتبة لبنان ناشرون – بيروت الطبعة ، ١٤١٥-١٩٩٥

وقد ورد في كتاب التعاريف ما نصه : (الشياع الانتشار والتقوية يقال شاع الحديث اشتهر وقوي الشيء ما يصح أن يعلم ويخبر عنه عند سيبويه وهو أعم العام) .[1]

وقد اقترب الفيروز آبادى[2] من المعنى الاصطلاحي المستعمل حالياً وذلك من خلال ذكره للمعنى اللغوي فجاء في تاج العروس : (وشاعَ الشَّيْبُ شَيْعًا وشَيَاعاً وشُيوعاً وشَيْعُوعَةً ومَشيعاً : ظهرَ وتفرَّقَ . وشاع فيه الشَّيْبُ والمَصدَرُ ما تقدَّم وتَشَيَّعَه كلاهما : استطارَ وهو مَجازٌ . وأَشاعَ ذِكرَ الشَّيءِ : أَطارَهُ. وأَشَعْتُ المالَ بينَ القومِ والقِدْرَ في الحَي إذا فرَّقْتَه فيهم نقله أَبو عُبيدٍ . وكُلُّ شيءٍ يكونُ به تمامُ الشيءِ أَو زيادَتُهُ فهو شائعٌ له) [3] ، ثم إن ابن الأثير قد أقترب أكثر إلى المعنى الحالي للإشاعة بقوله : (ومن الحديث { إنه قال لفلان : ألك شَاعَة ؟ } وفيه { أيُّما رجلٍ أشَاعَ على رجل عَورةَ ليَشينَه بها} أي أظْهَر عليه ما يَعِيْبه يقال شاع الحديث أشاعه إذا ظهر وأظهره)[4]

وقد أورد ابن الجوزي في تفسير الحديث النبوي ما يجعل الإشاعة بمعناها الحالي في كتابه غريب الحديث ، وذلك بقوله : (الحديث : لَيْسُوا بالمَذَاييعِ ، وهم الَّذِينَ يُشيعُونَ الفَواحِشَ وفي لفظ ليسوا بالمَسَاييحِ وهم الذي

---

١ التعاريف ٤٤٣/١ محمد عبد الرؤوف المناوي
الناشر : دار الفكر المعاصر ، دار الفكر – بيروت ، دمشق
الطبعة الأولى ، ١٤١٠

٢ محمد بن يعقوب مجد الدين الشيرازى ولد بشيراز سنة ٧٢٩ هـ ورحل في طلب العلم وله مؤلفات وتوفي في زبيد سنة ٨١٧ هـ الأعلام ١٤٦/٧

٣ تاج العروس ٥٣٥٨/١

٤ النهاية في غريب الحديث ٢٦٨/٢ محمد بن محمد الجزرى ابن الاثير المطبعة الخيرية للسيد عمر حسين الخشاب القاهرة طبعة سنة ١٢٠٦ هـ
هذا الحديث قد أخرجه ابن أبى الدنيا في الصمت – باب ذم النميمة – ١٥٥/١ – حديث ٢٥٧ الصمت وآداب اللسان عبد الله بن محمد بن عبيد أبي الدنيا أبو بكر دار الكتاب العربى – بيروت الطبعة الأولى ، ١٤١٠ تحقيق : أبو إسحاق الحوينى

يُمشْونِ بالشرُّ والنَّمِيمَةِ)[١] فكأن ابن الجوزي يجعل للإشاعة ركنان وهما : الكذب وفشو الخبر ، وهذا ما سيأتي بيانه في اختيار التعريف الاصطلاحي للإشاعة والحقيقة أن هذه اللفظة قد استخدمت في الشرع المطهر وفي النصوص الشرعية وفي كتب الفقهاء وعند المفسرين وغيرهم من علماء الأمة ومنها ما ذكرناه آنفا ، وما جاء في تفسير الآية في سورة النور في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩)** ﴾[٢] ، فقد قال القرطبي [٣] في الآية : (أي تفشو ، يقال شاع الأمر شيوعا وشيعا وشيعانا .. المراد بهذا اللفظ عائشة وصفوان رضي الله عنهما)[٤] ، فيكون المعنى أن المنافقين أحبوا أن تنتشر الإشاعة عن عائشة وصفوان ، وبذلك نعلم أن المقصود في لفظ ﴿ **أَنْ تَشِيعَ** ﴾ معناها الاصطلاحي الذي نستخدمه الآن ، وذلك حسب تفسير القرطبي للكلمة .

وبذا فإننا نعلم يقينا أن معنى الإشاعة معروف لدى السابقين وإن لم يتلفظوا به صراحة ، وقد حذر منه الله تعالى في كتابه وحذر من الرسول صلى الله عليه وسلم بالأحاديث الشريفة .

المسألة الثانية تعريف الإشاعة اصطلاحا :

بعد تعريف الإشاعة لغة نذكر في هذا التعريف الاصطلاحي للإشاعة كما ورد عن العلماء المعاصرين ، والملاحظ أن أول من عرف الإشاعة اصطلاحا هم علماء الغرب .

---

١ غريب الحديث ٣٥٧/١ وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية الطبعة : الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند سنة ١٣٤٨ هـ / ١

٢ النور : ١٩

٣ محمد بن أحمد بن أبن بكر الأنصارى الخزرجى من كبار المفسرين من أهل قرطبة رحل إلي المنيا شمال أسيوط وتوفي بها سنة ٦٧١ هـ وله مؤلفات كثيرة أشهرها التفسير الأعلام ٣٢٢/٥

٤ الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبى ٢٠٦/١٢ محمد بن أحمد بن أبى بكر بن فرح الأنصارى خزرجى شمس الدين القرطبى الناشر : دار الكتب المصرية – القاهرة الطبعة : الثانية ، ٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م

فنقول وبالله التوفيق : الإشاعة والشائعة لفظة بمعنى واحد ، ومن المعلوم أن (الإشاعة قديمة قدم البشرية ، وينتظر لها أن تعيش لها ما بقيت البشرية) [١] ، (فالشائعة سلوك من المسالك العديدة للجماعة) [٢] ، لذا فنحن نحتاج إلى تعريف جامع مانع للإشاعة .

يقول في ذلك الدكتور فهمي توفيق مقبل : (لا نجد في كتب اللغة قديما تعريفا للإشاعة بمفهومها ومسماها في العصر الراهن)[٣] . **قلت** : ولكننا نجد الإشاعة عند القرطبي وابن الجوزي كما مر بنا في المسألة السابقة .

وكان أول من حاول أن يعرف الإشاعة بمفهومها الحالي هما أولبورت وبوستمان من علماء الغرب ــ والحقيقة هما أول من كتب في الإشاعة من علماء العصر حسب ما أطلعت عليه ، وقد لاحظت أن أكثر من كتب بعدهما نقل عنهما ــ وقد ذكرا في كتابيهما سيكولوجية الإشاعة في تعريف لفظ الإشاعة قولهما : (كل قضية أو عبارة نوعية أو موضوعية مقدمة للتصديق تتناقل من شخص إلى شخص عادة بالكلمات المنطوقة دون أن يكون هناك معايير أكيدة للصدق) [٤] .

ثم أن الدكتور إبراهيم محمد خضر الداقوقي عرف الإشاعة اصطلاحا بقوله :

(الإشاعة أسلوب من أساليب الحرب النفسية وهي رواية لخبر مختلق أو سرد لخبر يحتمل جزءا من الحقيقة بقصد التأثير النفسي على الرأي

---

١ مقدمة سيكولوجية الإشاعة ص ٧ صلاح مخيمر – عبده ميخائيل مقدمة المترجمين دار المعارف بمصر ١٩٦٤م

٢ مقدمة سيكولوجية الإشاعة ص ٧

٣ دور المؤسسات التربوية في مكافحة الإشاعة ص ١٣١ فهمي توفيق مقبل دار النشر بالمركز العلمى للدراسات الامنية والتدريب بالرياض ١٤١٠ هـ

٤ سيكولوجية الإشاعة ص ١٥ تأليف أولبورت وبوستمان ترجمة صلاح مخيمر وعبده ميخائيل دار المعارف بمصر ١٩٦٤

المحلي أو الإقليمي أو العالمي بحملات الهمس أو بوسائل الإعلام من أجل تحقيق أهداف سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو عسكرية على نطاق الدولة أو الإقليم أو العالم)[١] .

وقد نقل الدكتور فهمي توفيق مقبل بعض التعاريف للإشاعة منها : (هي موضوع خاص أو عام يتداوله الأفراد عن طريق الكلمات بهدف تصديقه أو الإيمان بصحته على الرغم من عدم توفر الأدلة اللازمة على حقيقته)[٢]. ثم وضع لها تعريفا من عنده بقوله : (أخبار مشكوك في صحتها ويتعذر التحقق من أصلها وتتعلق بموضوعات لها أهمية لدى الموجه إليهم ويؤدي تصديقهم أو نشرهم لها إلى إضعاف روحهم المعنوية)[٣]

أما الدكتور أحمد نوفل فقد نقل تعاريف الإشاعة عن المحدثين ، بعد أن نقل التعريف اللغوي عن علمائنا السابقين، ولكنه لم يضع تعريفا نهائيا عن الإشاعة ، وقد كان كتابه الإشاعة يعالج موضوع الإشاعة من الوجهة الشرعية .

وفي ظني بحسب ما أطلعت عليه ، أنه لا يوجد تعريف من تعاريف القدماء أو المعاصرين إلا وعليه ملاحظات أو مآخذ، حيث أن جميعها تذكر أسباب الإشاعة أو مصادرها وأنواعها ، أو تدخل ما هو خارج ماهية الإشاعة أو لا تذكر ما هو داخل في حقيقتها . فلذا ارتأيت أن أضع تعريفا جامعا ومانعا للإشاعة ، وهو : (**الإشاعة : هي خبر كاذب أو خلاف الواقع ينتشر بين الناس أو يراد نشره**).

فهذا التعريف له ركنان وهما كذب الخبر وشيوعه ، ويشمل كل أنواع الإشاعة ويدخلها فيه ، كما أنه قد خلا مما هو غير داخل في ماهية الإشاعة،

---

١ دور الإعلام في ترويج ومكافحة الإشاعات ص ٩٤-٩٥ إبراهيم محمد خضر الداقوقى دار النشر بالمركز العلمى للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض ١٤١٠هـ

٢ دور المؤسسة التربوية في مكافحة الشائعات ص ١٣٤

٣ دور المؤسسات التربوية في مكافحة الشائعات ص ١٣٤ – ١٣٥

مثل أسباب الإشاعة وأنواعها ونتائجها ، كما أنه يتجنب أن يذكر في التعريف ما لا دخل في حقيقة الإشاعة ، وذلك كما نقلت عن الدكتور توفيق مقبل قوله : (أنها أخبار مشكوك في صحتها ويتعذر التحقق من أصلها) . فقد كانت حادثة الإفك لا يشك أحد في كذبها ، كما أن مصدرها معروف .

وبناء على هذه المقدمة في تعريف الإشاعة لغة وشرعا فإن الإشاعة تبدأ بكذبة في الأصل فيكون حكمها حكم الكذب المحرم شرعا ثم تبدأ بالانتشار بين الناس وتتناقلها الألسن ، فتنتشر بين الناس فإذا شاعت الكذبة أصبحت إشاعة فتأخذ حكم الإشاعة في هذه الحال ثم إذا تطورت الأمور بعد ذلك ، فقد تكون الإشاعة أسطورة تتناقلها الأجيال ، كما إن تطور مثل هذه الأساطير قد تصل إلى مرحلة لتكون عقيدة راسخة يؤمن بها الناس ويبنون عليها عقائدهم ودينهم ، وقد يعيش الناس ويموتون على تلك العقائد التي هي في أصلها كذبة لها أغراضها ، وقد تبني بعد ذلك دول وتهدم غيرها بناء على تلك الكذبة ، وكل ذلك مصداقا لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي رواه ابن ماجة في سننه : (عن أبي هريرة ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفع الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي بها بالا يهوي بها في جهنم)[1].

وبعد ذلك كله فإني لا أبحث في أصل الإشاعة وهي الكذبة أو الخبر الخطأ لأنها في هذا الحال لم تصبح الإشاعة لتكون أسطورة ، أو في حال اتخاذها عقيدة يبني الناس عليها حياتهم في الدنيا وينظمون أمورهم على أساسها ، وقد تبني الدول وتؤسس المؤسسات الحكومية وينظم القضاء على

١ أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب الرقاق – باب حفظ اللسان – ٢٣٧٧/٥ – حديث ٦١١٣ الجامع الصحيح المختصر محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧ تحقيق : د . مصطفي ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق

أساس تلك الإشاعة التي هي كذبة كذبها إنسان فبلغت الآفاق . وإنما أبحث في الإشاعة بتعريفها الذي ذكرته ، والتي وردت في القرآن أو في التفاسير .

وقد أوضح النبي صلى الله عليه وسلم كيف تبدأ وتتطور الإشاعة ، وذلك كما ورد في حديث الرؤية التي رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي جاء فيه : (فقالا لي : انطلق ، انطلق ، فانطلقت معهما ، حتى انتهيا بي إلى رجل ، وإذا رجل قائم على رأسه ، وإذا بيده كلّوب من حديد ، وهو يشرشر فمه إلى قفاه ، ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه ، ثم يفعل بهذه الناحية الأخرى فما يفرغ منها حتى تعود تلك الناحية كأصح ما كانت ، فقلت : يا بارك الله فيكم ما هذان الرجلان ؟ قالا لي : انطلق ، انطلق) ، وكان نهاية الحديث قوله : (وأما الذي رأيت يشرشر فمه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه فذلك رجل يخرج من منزله ، يكذب الكذبة فيشيع في الآفاق)[1] ، وبذا نرى أن لفظ يشيع في الحديث جاءت بمعنى الإشاعة المستخدم حاليا .

أما الذين كتبوا في موضوع الإشاعة ، وقسموا الإشاعة بالنسبة إلى أهدافها وأسبابها ووسائلها ، فإن ذلك لا يفصل بعض الأنواع عن بعض لأنها في أحيان كثيرة تتداخل ، فالإشاعة المتعلقة بالأفراد قد تفتّ في عضد المجتمع ، والإشاعة السياسية تؤثر حتما في الأمور العسكرية ، كما أن الإشاعة المتعلقة بالمجتمع تؤثر في الدعوة، ولذا قال الله تعالى في كتابه : **قال ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آَمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩)﴾**[2]

١- المرجع السابق ، ك/ بدء الوحى ، جـ ١٢٦/٢ .
٢ النور : ١٩

المبحث الأول

خبر الفاسق والتثبت من الأخبار

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا على مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦) وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨) ﴾[1]

المسألة الأولي : في سبب نزول هذه الآيات

هذا الخطاب الإلهي الذي يبدأ بهذا النداء يجعل كل مؤمن يعطي الموضوع أهمية أكثر ، وذلك لأنه يعلم أن النداء له ، وأن الله يأمره بخير وينهاه بسوء .

نزلت هذه الآيات في إشاعة أشاعها صحابي [2] – هذا إن صحت الرواية وسيأتي بيان ذلك – وقد ذكرت أكثر الروايات أن صاحب هذه القصة هو الوليد بن عقبه بن أبي معيط ، وقد أطلق هذه الإشاعة على بني المصطلق ، وكما نعلم أن مثل هذه الإشاعات التي سوف نوردها في هذا المبحث ؛ تؤدي في الغالب إلى القتال والفتنة بين المسلمين كما أن بعض الروايات تذكر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم قد أرسل جيشا لقتال بني المصطلق ، بسب تلك الإشاعة لذلك فقد أتبعها الله تعالى بأسلوب معالجة نتائج مثل هذه الإشاعات بقوله تعالى : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (٦) وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ**

---

١ الحجرات ٦ – ٨

٢ كون الصحابي يفعل مثل هذا الفعل فإنه لا يطعن فيه لأن الصحابة كانوا في طور التربية والتعليم

الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨) ﴾[١] .

ففي هذه الآيات يعلمنا الله تعالى أسلوب التعامل مع الإشاعة ومعالجتها ، ومن ثم أسلوب التعامل مع نتائجها السيئة على المجتمع ليمحو آثارها . وفي هذا المبحث سأتناول دراسة هذه الآيات الكريمات ، في إطار الموضوع العام للرسالة وهو الإشاعة والتعامل معها .

يبين لنا الله تعالى من خلال هذه الآيات الوسطية في نقل الأخبار والتثبت منها. وقد خص الله الفاسق بالذكر (لأنه مظنة الكذب ، وحتى لا يشيع الشك بين الجماعة المسلمة في كل ما ينقله أفرادها من أنباء ، فيقع ما يشبه الشلل في معلوماتها فالأصل في الجماعة المؤمنة أن يكون أفرادها موضع ثقتها، وأن تكون أنباؤهم مصدقة مأخوذا بها . فأما الفاسق فهو موضع شك حتى يثبت خبره . وبذلك يستقيم أمر الجماعة وسطا بين الأخذ والرفض لما يصل إليها من أنباء)[٢]

المسألة الثانية : ذكر القصة حسب الروايات الواردة الاختلافات فيها

أما نص القصة فاخترت أن أوردها من تفسير فتح الإمام القدير للإمام الشوكاني فقد أورد الرواية بعد أن جمعها من عدة روايات فقال في ذلك : (أخرج أحمد وابن أبى حاتم والطبراني وابن منده وابن مردويه قال السيوطي بسند جيد عن الحارث بن ضرار الخزاعي قال : قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاني إلى الإسلام فدخلت فيه وأقررت به ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها وقلت : يا رسول الله أرجع إلى قومي فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة فمن استجاب لي جمعت زكاته وترسل إلي يا رسول الله رسولا إبان كذا وكذا ليأتيك ما جمعت من الزكاة ، فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الإبان الذي أراد رسول الله صلى الله

---

١ الحجرات : ٦- ٨

٢ في ضلال القرآن ٣٣٤١/٦

عليه وسلم أن يبعث إليه ، احتبس الرسول فلم يأت فظن الحارث أن قد حدث فيه سخطة من الله ورسوله فدعا سروات قومه ، فقال لهم : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وقت لي وقتا يرسل إلي رسوله إلا من سخطه فانطلقوا فنأتي رسول الله ، وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق[1] فرجع فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن الحارث منعني الزكاة وأراد قتلي [2] فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم البعث إلى الحارث فأقبل الحارث بأصحابه ، حتى إذا أستقل البعث و فصل عن المدينة لقيهم الحارث ، فقالوا هذا الحارث ؟ فلما غشيهم قال لهم : إلى من بعثتم ؟ قالوا إليك قال ولم ؟ قالوا : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله ، قال : لا و الذي بعث محمدا بالحق ما رأيته بتة ولا أتاني فلما دخل الحارث على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : منعت الزكاة وأردت قتل رسولي ؟ قال : لا والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا رآني ، وما أقبلت إلا حين احتبس علي رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خشيت أن تكون سخطة من الله ورسوله فنزل: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ**﴾ [3]إلى قوله﴿ **حَكِيمٌ**﴾)[4].

القصة المذكورة في السيرة وتكاد تجمع كتب السيرة كلها أن تلك الحادثة نزلت في الوليد بن عقبة مع اختلاف في تفصيلات الحادثة .

وفيما يلي سأحاول إيراد بعض اختلافات القصة كما وردت في الروايات التي لم تصل إلى درجة الصحة كما ذكر ذلك الحافظ بن كثير [5] :

---

١ أى خاف

٢ تبين بعض الروايات أنه رأى الحارث وقومه فظنهم يريدون قتله ، وستأتي في هذه المسألة

٣ الحجرات : ٦

٤ فتح القدير ٥ / ٨٦

٥ درجة صحة الرواية ستأتي في المسألة الثالثة من هذا المبحث

١ يكاد أن يجمع أهل التفسير والحديث والسير أن سبب نزول هذه الآية هو: أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث ، الوليد بن عقبة لجمع صدقات بني المصطلق ، و لما اقترب منهم خشي على نفسه منهم ، وظن أنهم يريدون قتله فرجع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأخبره بأنهم منعوا الزكاة وأرادوا قتله .

٢ بعض الروايات تذكر أنهم خرجوا لاستقباله ، (فتلقوه يعظمون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله)[١] . فلما رآهم رجع لظنه أنه يريدون قتله .

٣ بعض الروايات تذكر أن بني المصطلق لم يشعروا بوفود الوليد بن عقبة بن أبي معيط عليهم ، فلم تذكر أنهم قد خرجوا إليه ليراهم ،(فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الإبان الذي أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث إليه احتبس عليه الرسول لم يأته وظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطه من الله تعالى ورسوله فدعا بسروات قومه ، فقال لهم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وقت لي وقتا يرسل إلي رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة ، وليس من رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلف ، ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطه فانطلقوا بنا نأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم)[٢] .

٤ بعض الروايات تذكر أن خالد بن الوليد خرج إليهم بجيش ولما سمع الآذان لم يهاجم بني المصطلق : (وبعث خالد بن الوليد إليهم خفية في عسكر وأمره أن يخفي عليهم قدومه وقال له : انظر فإن رأيت منهم ما يدل على إيمانهم فخذ منهم أموالهم وإن لم تر ذلك فاستعمل فيهم ما يستعمل في الكفار ، ففعل ذلك خالد ووافاهم فسمع منهم أذان صلاتي

١ تفسير الطبري ٢٦ / ١٢٣

٢ تفسير ابن كثير ٤ /٢٦٦

المغرب والعشاء فأخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم إلا الطاعة والخير فانصرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)[1] .

٥ تذكر بعض الروايات أن بني المصطلق وقد وفدوا على الرسول الله صلى الله عليه وسلم فصفوا له حيث صلى الظهر فقالوا : نعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله بعث إلينا رجلا مصدقا فسررنا بذلك وقرت به أعيننا ثم أنه رجع من بعض الطريق فخشينا أن يكون غضبا من الله تعالى ومن رسوله صلى الله عليه وسلم فلم يزالوا يكلمونه حتى جاء بلال رضي الله عنه فأذن بصلاة العصر)[2] .

٦ وقت الحادثة بعد غزوة المريسيع[3] كما جاء بالرواية : (عن علقمة بن ناجية قال : بعث إلينا رسول الله صلى الله علينا وسلم الوليد بن عقبة بن أبي معيط يصدق أموالنا فسار حتى إذا كان قريبا منا وذلك بعد وقعة المريسيع رجع فركبت في أثره فأتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله أتيت قوما في جاهليتهم أخذوا اللباس ومنعوا الصدقة فلم يغير ذلك النبي صلى الله عليه وسلم حتى أنزلت الآية : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ**﴾ فأتى المصطلقون إلى النبي صلى الله عليه وسلم أثر الوليد بطائفة من صدقاتهم)[4]

٧ تذكر بعض الروايات أن الذين بعث إليهم الوليد بن عقبة هم بنو وليعة وكانت بينهم شحناء في الجاهلية فلما بلغ بنو وليعة استقبلوه لينظروا ما في نفسه فخشي القوم فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن بني وليعة أرادوا قتلي ومنعوني الصدقة فلما بلغ بني وليعة الذي قال، أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا رسول الله لقد كذب الوليد

---

١ معالم التنزيل ٢١٢/٤ ويسمى تفسير البغوي للإمام أبى محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوى الشافعى إعداد وتحقيق خالد عبد الملك العك ومروان سوار دار المعرفة بيروت لبنان

٢ تفسير اين كثير ٢٦٦/٤

٣ غزوة المريسيع اسم موضع سنة ست صحيح البخاري ١٥١٥/٤

٤ الدر المنثور ٥٥٦/٧

قال: وأنزل الله في الوليد : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ**﴾[١] الآية [٢] .

المسألة الثالثة في صحة الرواية في نزول الآية في الصحابي الجليل الوليد بن عقبة ابن أبي معيط

يكاد يجمع المفسرون على أن الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط وهو من الصحابة ، وتذكر الروايات أن الحارث سيدهم ملك بني المصطلق ، وهو والد جويرية بنت الحارث أم المؤمنين رضي الله عنها .

وقد أنكر القاضي أبو بكر بن العربي في كتابه " العواصم من القواصم " هذه القصة قال : (وقد اختلف فيه ، فقيل: نزلت في ذلك – أي في شأن الوليد . وقيل : في علي و الوليد في قصة أخرى – وقيل : إن الوليد قد سيق يوم الفتح في جملة الصبيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمسح رؤوسهم وبرك عليهم إلا هو فقد قال : إنه كان على رأسي خلوق [٣] ، فامتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسه، فمن يكون في مثل السن يرسل مصدقا ؟ وبهذا الاختلاف يسقط العلماء الأحاديث القوية ، وكيف يفسق رجل هذا الكلام ؟ فكيف برجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم)[٤] .

---

١ الحجرات : ٦– ٨

٢ أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط – من أسنه علي – ١٣٣/٤ – حديث ٣٧٩٧ المعجم الاوسط المؤلف أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى دار الحرمين – القاهرة ، ١٤١٥ تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسينى ، لم يرو هذا الحديث عن الأعمش إلا عبد الله بن عبد القدوس .

٣ هو نوع من الطيب نهاية الإرب في فنون الأدب (١٢/ ١٢٨) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب وزارة الثقافة والإرشاد القومى – المؤسسة المصرية العامة

٤ العواصم من القواصم ص ١٠٣ القاضى أبو بكر بن العربى طبعة الرئاسة العامة للبحوث والإفتاء السعودية ١٩٨٤ م

وكذا أنكر القاضي أبو بكر بن العربي المالكي أن تكون هـذه الآيـة نزلت في الوليد بن عقبة وذلك لأنه كان صبيا من الصبيان الذين وفدوا على الرسول صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة [1].

قال الحافظ ابن كثير : (وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآيـة نزلت في الوليد بن عقبة بن أبى معيط ، حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات بني المصطلق . وقد روى ذلك من طرق ، ومن أحسنها ما رواه الإمام أحمد في مسنده من رواية بني المصطلق ، وهو الحارث بن ضرار ، والد جويرية بنت الحارث أم المؤمنين ، رضي الله عنها) [2] .

أما الشوكاني فقد نقل عن الإمام الحافظ ابن كثير أنـه يـرجح هـذه الرواية ، وذلك بقوله : (هذا أحسن ما روى في سبب نزول الآيـة وأنـه المراد بها وإن اختلفت القصص)[3] .

قلت : ولكني لم أر أن ابن كثير قال مثل هذا الكلام ، كما أن هذا ليس بدقيق ؛ بل إن أقصى ما يقوله أن هذه الرواية هي أقوى ما ورد فـي هـذا الباب – فلم يثبت النقل عنه – وقد وقفت على قول ابن كثير في هذه المسألة في تفسيره: (وقد ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبى معيط ، حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات بني المصطلق ، وقد روي ذلك من طرق ، ومن أحسنها مـا رواه الإمـام أحمد في مسنده من رواية ملك بنـي المصـطلق ، وهـو الحـارث بـن ضرار،والد جويرية بنت الحارث أم المؤمنين ،رضي الله عنها) [4] وقال ابن عبد البر : (وأظنه يومئذ كان قد ناهز الاحتلام ، ولما افتـتح رسـول الله صلى الله عليه وسلم مكة، جعل أهلها يأتون بصبيانهم فيمسح على رؤوسهم،

---

١ العواصم من القواصم ص ٩٠- ٩٢

٢ تفسير ابن كثير – (٤/ ٢٠٨)

٣ فتح القدير للشوكانى ٧/ ١٣

٤ تفسير بن كثير / دار طيبة – (٤/٢٠٨)

وقال فأتي بي إليه وأنا ممضخ بالخلوق فلم يمسح على رأسي ، ولم يمنع من ذلك ... وهو حديث منكر مضطرب لا يصح ، ولا يمكن أن يكون بعث مصدقا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم صبيا يوم الفتح ومن كان غلاما مخلقا ليس يجئ منه مثل هذا)[١] .

وبما أن الرواية بأسانيدها المختلفة ضعيفة وأصحها فيها مجهول – كما يقول الحافظ ابن كثير – فهي لا تثبت على هذا الصحابي ، والله أعلم .

المسألة الرابعة في إطلاق مسمى الفسق على من وردت فيه الروايات

في بداية هذا المبحث سأذكر مختصرا من سيرته : هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأموي القرشي أخو عثمان بن عفان لأمه أروى بنت كريز ويكنى أبو وهب ، أسلم يوم الفتح ولاه عمر صدقات بني تغلب وولاه عثمان الكوفة سنة ٢٥هـ اعتزل الفتنة فمات بالرقة [٢] ولكن الفعل الذي نسب لهذا الصحابي – إن صحت الرواية عنه – خطأ كبير في كل المقاييس، وإن كانت بعض الروايات تعتذر بأنه ظن أنهم يريدون أن يفتكوا به ؛ وذلك لخروجهم للقائه في جمع كبير ، ولوجود عداوة بينه وبينهم في الجاهلية . ولكن لولا تدارك الله هذا الأمر برحمته تعالى ، ثم بتأني الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ لكان هناك فساد كبير ولذا عقب الله تعالى على هذه الحادثة بالآية التي تلتها : ﴿ **وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ** ﴾، وقد ورد في هذه الروايات أن هذه الإشاعة قد فعلت فعلها في المجتمع المسلم إذ كثرت على النبي صلى الله عليه وسلم الاقتراحات في غزو بني المصطلق ولكن الرسول تأنى في ذلك ؛ فقد أرسل خالد بن الوليد مع جيش ليثبت بداية له أنهم ارتدوا أو كما تقول الروايات الواردة في هذا الباب . علما بأن الاختلاف لا يؤثر في القاعدة العظيمة التي جعلها الله تعالى

١ الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر الأندلسى ٣ / ٦٣١ ابن عبد البر القرطبى الأندلسى الطبعة الأولي ١٣٢٨ هـ دار إحياء التلاث العربى بيروت لبنان

٢ الأعلام للزركلي ١٢٢/٨

لمعالجة مثل هذه الإشاعات – وهى التثبت من خبر الفاسق – التي لا يكاد يخلو منها زمان ومنها زماننا هذا الذي كثرت فيه وسائل الإعلام لتنتشر في هذا الأثير ومن ثم لا تكاد تخلو إشاعة من دخول الأذان فتؤثر على نفوس الناس .

وهذه القاعدة العظيمة يفسرها فعل النبي صلى الله عليه وسلم بالتأني في مثل هذه الأمور العظيمة التي قد تدمر المجتمع المسلم ، فما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصديق الوليد بن عقبة في خبره – الذي هو صادق في ظنه كما بينا – هو الصواب لأنه لم يظهر عليه دلائل الفسق ، ولكن التأني في إصدار القرار هو المتعين في هذه الحالة إذ إن عدم التعامل مع الحدث – وهو الخبر الذي جاء – خطأ في حد ذاته ، والاستعجال في اتخاذ القرار قد يؤدي إلى عواقب وخيمة ؛ فلم يبق إلا القرار الذي أتخذه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو أخذ الحيطة مع التأني لحين تثبت الأمر.

ولذا فليس من اللازم أن يوصف هذا الصحابي الجليل بوصف الفسق لأنه ينطبق عليه حكم مفهوم من المخالفة من الآية ، وليس حكم المنطوق ، فإن مفهوم المخالفة : إن جاء من هو ليس بفاسق في نظركم فليس عليكم التثبت ، ومفهوم الموافقة هو : إن جاءكم فاسق فعليكم التثبت والله أعلم .

كما أن عبارة القرطبي توحي بأنه يجزم بإثبات حكم الفسق على هذا الصحابي، ونستشف من ذلك قوله في تفسيره: (فأنزل الله تعالى هذه الآية وسمى الوليد فاسقا أي كاذبا قال ابن يزيد ومقاتل وسهل ابن عبد الله : الفاسق الكذاب ،وقال أبو الحسن الوراق هو المعلن بالذنب وقال ابن طاهر : الذي لا يستحي من الله)[1] .

ونستطيع أن نفهم هذا الرأي من كلام الإمام السيوطي في تفسيره أيضا :(فأنزل الله فيه وسماه فاسقا : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ**

١ تفسير القرطبى ٢٤٦/١٦

بِنَبَأ ﴾[1] الآية [2]. ولكننا نرجع ونقرر أنه لعدم ثبوت الرواية فإن وصف الفسق لا يثبت على الوليد ابن عقبة بن أبي معيط ولو ثبتت الرواية فلا يثبت أيضا لما أسلفنا من قبل والله أعلم.

المسألة الخامسة: الفوائد والعبر من هذه الواقعة والأسلوب النبوي في مواجهة هذه الشائعة بالذات

أما خلاصة العبرة فأيا (كان سبب النزول ، فإن الآية عامة مطلقة ، تحذر المسلمين من الأنباء الكاذبة التي يرجف بها المرجفون ليشيعوا في المسلمين قالة السوء ، وليوغروا بها صدورهم على أهل الإيمان والسلامة فيهم ، وأن هذا من شانه لو وقع موقع القبول والتسليم من المؤمنين ، من غير تبصر أو تمحيص، لأفسد عليهم أمرهم ، ولنزع الثقة والطمأنينة من بينهم .... فما أكثر ما كان يلقى به المنافقون ، واليهود ، في محيط أكاذيب و وأراجيف وشائعات ، الأمر الذي يقضي على المسلمين بأن يمحصوا هذه الأخبار وألا يأخذوها مأخذ القبول والتسليم دون نظر فاحص لها) [3].

فكان نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول : (التأني من الله والعجلة من الشيطان) [4] ، ولعل العبرة من هذا الحديث أن لا يتعجل الإنسان حتى يتبين الأخبار، فبذا يتوافق التوجيه الإلهي مع التوجيه النبوي في هذا الموضوع .

ولما كان سيد المرسلين محمد عليه الصلاة والسلام رجل دولة ودين ، وقد تعامل مع هذه الإشاعة تعاملا من منطلق المصلحة العامة للدولة الإسلامية ، فلذا نجد أنفسنا مضطرين لاستنباط العبر من هذه الواقعة في السيرة المشرفة فمن تلك الفوائد :

---

١ الحجرات : ٦- ٨

٢ الدار المنثور ٥٥٨/٧

٣ التفسير القرآنى للقرآن (١٣/ ٤٤٠ – ٤٤١)

٤ أخرجه أبو يعلي الموصلي في مسنده – مسند أنس بن مالك – ٧-٢٤٧- حديث ٤٢٥٦ مسند أبى يعلي أحمد بن علي بن المثنى أبو علي الموصلي التميمي دار المأمون للتراث – دمشق الطبعة الأولى ، ١٤٠٤ – ١٩٨٤ تحقيق : حسين سليم أسد : إسناده ضعيف .

١ لم يترك النبي صلى الله عليه وسلم أطراف الدولة الإسلامية من غير متابعة فقد كان يرسل البعوث ليجمع أموال الزكاة ويتابع المسلمين في ديارهم ، ومن ذلك إرسال خالد بن الوليد ليتبين التزامهم بالصلاة والشرائع الإسلامية .

٢ لم يتعجل عليه الصلاة والسلام مهاجمة من وصل له الخبر عنهم بأنهم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة وحاولوا قتل مبعوث الرسول صلى الله عليه وسلم ، بل تبين بعد التأني والتأكد من الخبر قال : (فلم يعجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا خالد بن الوليد فبعثه إليهم ثم قال : ارمقهم عند الصلاة فإن كل القوم قد تركوا الصلاة فشأنك بهم ولا تعجل عليهم) [١] .

وقد ورد أن خالد بن الوليد قد تمهل أيضا في مهاجمتهم : (فدنا منهم عند غروب الشمس فكمن حيث يسمع الصلاة فرمقهم فإذا هو بالمؤذن قد قام حين غربت الشمس فأذن ثم أقاموا الصلاة فصلوا المغرب فقال خالد بن الوليد : ما أراهم إلا يصلون فلعلهم تركوا غير هذه الصلاة ثم كمن حتى إذا كان الليل وغاب الشفق أذن مؤذنهم فصلوا قال : فلعلهم تركوا صلاة أخرى فكمن حتى إذا كان في جوف الليل فتقدم حتى أظل الخيل بدورهم فإذا القوم تعلموا شيئا من القرآن ، فهم يتهجدون به من الليل ويقرؤونه ، ثم أتاهم عند الصبح ، فإذا المؤذن حين طلع الفجر أذن ثم قاموا فصلوا فلما اصرفوا وأضاء لهم النهار ، إذا هم بنواصي الخيل في ديارهم فقالوا : ما هذا ؟ قالوا : هنا خالد بن الوليد وكان رجلا مشنعا فقالوا يا خالد : ما شأنك ؟ أنت والله شأني أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له أنكم كفرتم بالله وتركتم الصلاة فجعلوا يبكون فقالوا: نعوذ بالله أن نكفر بالله أبدا ، قال : فصرف الخيل وردها عنهم حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم)[٢]. **قلت** : وبذا

---

١ الدر المنثور ٧ / ٥٥٧

٢ الدر المنثور ٧ / ٥٥٧ – ٥٥٨

نرى كيف أن التأني أصبح سجية في قيادات المجتمع المسلم اتباعا لهدي النبي صلى الله عليه وسلم .

٣ لم يترك عليه الصلاة و السلام الأمر من غير عمل احتياطي لسلامة الدولة وحفظ الدين بل أرسل جيشا للتثبيت ، واتخاذ الحيطة ما أمكن ، وفي حالة الضرورة تنفيذ العمل العسكري في مواجهة ما يفسد الدين ويقوض أركان الدولة .

٤ لم تذكر الروايات الواردة إلينا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد اتخذ إجراء في الوليد بن عقبة بن أبي معيط وذلك لأنه أخطأ في نفس الأمر ، وجانب الصواب عندما شاهد الحارث سيد قومه من بني المصطلق خرجوا إليه فظنهم يريدون قتله لأنه كان بينهم عداوة في أيام الجاهلية .

٥ نزاهة الصحابة وصدقهم ويدل على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم يثق بهم ويبعثهم لأداء الأعمال التي تحتاجها الدولة المسلمة .

وفي نهاية هذا المبحث أود أن أبين كيف أن النبي صلى الله عليه وسلم قد احتاط لهذا الأمر من وجهين:

١ إن عقبة لم يظهر منه من قبل هذه الحادثة ما يجعل الرسول صلى الله عليه وسلم لا يستعمله في أعمال الدولة والحق أن الروايات لا تدل على فسقه فهو معذور بظنه أنهم يريدون قتله ، على فرض صحة الرواية.

٢ أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعاجلهم بل بعث من يتثبت الأمر وهو خالد بن الوليد مع الجيش وأمرهم بالتثبت قبل مهاجمة بني المصطلق وهذا بالفعل ما فعله خالد ابن الوليد لما استمع إلى الآذان وكلمهم بعد ذلك قبل مهاجمتهم .

٣ بذلك يكون الرسول صلى الله عليه وسلم احتاط للخبر الذي جاءه من الوليد بن عقبة من الجانبين سواء كان الخبر حقا فهو بعث الجيش لحماية الدولة والدين ، أو كان الخبر غير صحيح فهو قد أمر بالتثبت لذلك ، وفي ذلك يبين لنا حكمته عليه الصلاة والسلام في مواجهة مثل هذه المواقف التي تسببت في نشر الإشاعة ، والله أعلم .

المسألة السادسة استدلال أهل الحديث بهذه الآية في قبول خبر الواحد

(يأمر تعالى بالتثبت في خبر الفاسق ليحتاط له لئلا يحكم بقوله فيكون في نفس الأمر كاذبا أو مخطئا فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه وقد نهى الله عز وجل عن اتباع سبيل المفسدين ، ومن هاهنا امتنع طوائف من العلماء من قبول رواية مجهول الحال لاحتمال فسقه في نفس الأمر ، وقبلها آخرون لأنا إنما أمرنا بالتثبت عند خبر الفاسق وهذا ليس بمحقق الفسق لأنه مجهول الحال)[1] .

والذي يجعلنا أن نورد هذه المسألة في هذه الرسالة أن الشرع الحكيم قد توسط في قبول الآثار ، فأخبار الثقات تقبل أما خبر الفاسق فيجب أن يتثبت منها ، ولا ترد من أول وهلة ؛ فقد يصدق الكاذب أحيانا ، ولم يجعل الحبل على الغارب في قبول الأخبار ؛ فتنتشر الأخبار الكاذبة والمغلوطة في المجتمع، ولم يتعنت في قبول الخبر بل جعل ذلك على الأصل في المؤمن الصدق فلو لم تقبل أخبار الآحاد لتعطلت الأحاديث وضاع من العلم النبوي الكثير ، أما المجتمع فسيسود فيه ثقافة التكذيب فينفر أفراد المجتمع من بعض ولتعطلت مصالح العباد .

١ تفسير ابن كثير ٢٦٦/٤

المبحث الثاني
رجوع المهاجرين إلى مكة بسبب الإشاعة

تروى كتب التفسير وكتب السيرة حاثة في سيرة الحبيب المصطفي صلى الله عليه وسلم ، قد حدثت في العهد المكي بعد الهجرة الأولي إلى الحبشة .

أما ملخص القصة فهي أن المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة الهجرة الأولى قد سمعوا أن أهل مكة قد أسلموا – ومثل هذا الخبر الكاذب المنتشر يدخل في تعريفنا للإشاعة – فرجع بعضهم إلى مكة بسبب هذا الخبر ، ولكن عندما رجعوا وجدوا أن أهل مكة قد زاد أذاهم للمسلمين ، فلذا أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بالهجرة الثانية للحبشة ، فرجع بعضهم إليها .

أما أصل القصة فقد ورد في كتب الحديث المعتبرة منها صحيح البخاري : (قرأ النبي صلى الله عليه وسلم النجم بمكة فسجد فيها وسجد من معه غير شيخ أخذ كفا من حصى ، أو تراب فرفعه إلى جبهته، وقال هذا يكفيني هذا فرأيته بعد ذلك قتل كافرا)[١].كما أورد بعض أصحاب السير القصة ، ومن ذلك ما جاء في السيرة النبوية لابن كثير : (سمعت الأسود، عن عبد الله قال : قرأ النبي صلى الله عليه وسلم " والنجم " بمكة ، فسجد فيها ، وسجد من معه غير شيخ أخذ كفا من حصى أو تراب فرفعه إلى جبهته وقال : يكفيني هذا فرأيته بعد قتل كافرا) [٢].

ولقد كانت تلك الحادثة بحق حادثة أليمة على المجتمع المسلم ، وإذا كنا نعتقد بصحة هذه الحادثة في حصولها أو في أصلها لأن أكثر المؤرخين قد تلقفوها بالقبول، وأوردها على أنها حقيقة ولكن الذي يبدو أن أكثر

١ أخرجه البخاري في صحيحه – كتاب الكسوف – باب ما جاء في السجود .... – ١/ ٣٦٣ – حديث ١٠١٧–

٢ السيرة النبوية لابن كثير – (٢/٥٧) الإمام أبى الفداء إسماعيل بن كثير تحقيق : مصطفي عبد الواحد طبعة ١٣٩٦ هـ ١٩٧١م دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان

تفصيلاتها غير صحيح على الإطلاق ، لأن أكثر المحققين قد أنكر تلك التفصيلات .

يقول الحافظ ابن كثير عن هذه الرواية : (والمقصود أن الناقل لما رأى المشركين قد سجدوا متابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ اعتقد أنهم أسلموا واصطلحوا معه ولم يبق نزاع . فطار الخبر بذلك وانتشر حتى بلغ مهاجرة الحبشة بها ، فظنوا صحة ذلك فأقبل منهم طائفة طامعين بذلك ، وثبتت جماعة، وكلاهما محسن مصيب فيما فعل)[1] .

ويقول ابن كثير : (أول سورة أنزلت فيها سجدة : {والنجم } ، وقال: فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد من خلفه ، إلا رجلا رأيته أخذ كفا من تراب فسجد عليه ، فرأيته بعد ذلك قتل كافرا ، وهو أمية بن خلف)[2].

وقد حاول الشيخ علي الحلبي أن يفسر ما حدث في تلك الحادثة بقوله: (أنه لما رأى المشركين قد سجدوا متابعة لرسول الله صلى الله عله وسلم اعتقد أنهم أسلموا واصطلحوا معه ولم يبق نزاع معهم فطار الخبر بذلك وانتشر حتى بلغ مهاجرة الحبشة فظنوا صحة ذلك فقال المهاجرون بها : إذا أسلم هؤلاء ، عشائرنا أحب إلينا . فخرجوا أي خرج جماعة منهم من أرض الحبشة راجعين إلى مكة وكانوا ثلاثة وثلاثين رجلا منهم عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام وعثمان بن مظعون، وذلك في شوال حتى إذا كانوا دون مكة ساعة من نهار لقوا ركبا فسألوهم عن قريش فقال الركب ذكر محمد آلهتهم بخير ، فتابعه الملأ ثم عاد لشتم آلهتهم وعادوا له بالشر وتركناهم على ذلك فأتمر القوم في الرجوع إلى أرض الحبشة ، ثم قالوا قد بلغنا مكة

١ السيرة النبوية لابن كثير – (٢/٥٧)

٢ تفسير بن كثير (٤/٢٤٦)

فندخل ننظر ما فيه قريش ويحدث عهدا من أراد بأهله ثم نرجع فدخلوا مكة أي بعضهم بجوار وبعضهم مستخفيا)[١].

والذي يهمنا من هذه القصة في هذا المقام هو كيف كان تأثير الإشاعة على المجتمع المسلم الناشئ ، حتى كاد أن يقضي علـــى بعـــض أفـــراده ، فرجوع الطائفة المهاجرة إلى الحبشة إلى مكة قد يقضي على بعض أفرادها ،خصوصا أن أهل مكة قد زاد أذاهم في تلك الفترة للمؤمنين ، ولقـــد كـــان رسول الله صلى الله عليه وسلم أذن لهم بالهجرة إلى الحبشـــة لحفـــظ تلـــك الطائفة أصلا .

هكذا بهذه السهولة إشاعة كادت أن تفعل فعلها في ذلك المجتمع الفتي، ولكن كيف زيد في تلك الرواية ؟ فلقد زيد فيها ما يطعن بعصمة الأنبيـــاء ، فكان قصة الغرانيق التي تلقفها الألسن ومن ثم حرص ســـود بهـــا بـــيض الصحائف .

مسألة في قصة الغرانيق

بعد أن ذكرت حقيقة ما حدث ــ كما هو غالب الظن ــ في تلك الفترة الحرجة من تاريخ الدعوة الإسلامية وهي قصة سجود الكفار عند ســـماعهم سورة النجم حتى آخر آية فيها ، التي هي آية السجدة ، وقد زيد فـــي هـــذه القصة أشياء لا يقبلها الشرع أو العقل ، و لعل الـــذي زاد فيهـــا هـــم مـــن (القصاصين ليس عندهم تمييز ويخبطون خبط عشواء و يمشون في ظلمة ظلماء) [٢] . والذي يريدون هو التفاف الناس حولهم ، فيزيدون من التفاصيل على الروايات الصحيحة ليلفتوا أنظار الناس إليهم كما أنهم قد أدخلوا تفسير آية من سورة الحج في الموضوع وهي قوله تعالى : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ**

١ السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون ـــ (١ / ٣٢٧) علي برهان الدين الحلبي الشافعي المكتبة الإسلامية لصاحبها رياض الشيخ ـــ بيروت لبنان

٢ عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري ٧ / ١٠١ الإمام بدر الدين أبو محمد محمود العيني دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه إدارة الطباعة المنيرية

مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [1] ، وهي ليس لها صلة بهذا الموضوع إطلاقا ، أما قصة رجوع المسلمين من مهاجرهم بسبب سماعهم أن كفار مكة أسلموا فهو موضوعنا لأن ذلك تم بسبب إشاعة لم يتبين صدقها فكان الأمر عصبيا على من رجع من المسلمين ، فقد زاد الكفار من أذاهم في تلك الأيام ، ولذا كانت الهجرة الثانية للحبشة من قبل المجتمع المسلم .

ثم نسجت على هذه الحادثة من السيرة قصة الغرانيق ، التي أوردها أكثر أهل التفاسير ثم أنكرها أكثر العلماء المحققون ، وهذه الرواية باختصار كما أوردها الطبري في تفسيره : (جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناد من أندية قريش كثير أهله ، فتمنى يومئذ أن لا يأتيه من الله شيء فينفروا عنه ، فأنزل الله عليه : ﴿**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى**﴾ ، فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا بلغ: ﴿ **أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (٢٠)** ﴾ ألقى عليه الشيطان كلمتين : تلك الغرانقة العلى ، إن شفاعتهنّ لترجى ، فتكلم بها . ثم مضى فقرأ السورة كلها . فسجد في آخر السورة ، وسجد القوم جميعا معه ، ورفع الوليد بن المغيرة ترابا إلى جبهته فسجد عليه ، و كان شيخا كبيرا لا يقدر على السجود . فرضوا بما تكلم به و قالوا : قد عرفنا أن الله يحيي ويميت ، وهو الذي يخلق ويرزق ، ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده ، إذ جعلت لها نصيبا ، فنحن معك ، قالا فلما أمسى أتاه جبريل عليه السلام ، فعرض عليه السورة، فلما بلغ الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه قال : ما جئتك بهاتين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : افتريت على الله ، وقلت على الله ما لم يقل، فأوحى الله إليه : ﴿ **وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ**

---

١ الحج : ٥٢

عَلَيْنَا غَيْرَهُ﴾[١]... إلى قوله : ﴿ **ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا** ﴾ [٢] . فما زال مغموما مهموما حتى نزلت عليه : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾[٣]. قال : فسمع من كان من المهاجرين بأرض الحبشة أن أهل مكة قد أسلموا كلهم ، فرجعوا إلى عشائرهم وقالوا : هم أحبّ إلينا ، فوجدوا القوم قد ارتكسوا حين نسخ الله ما ألقى الشيطان)[٤] .

(الغرانيق ها هنا : الأصنام وهي في الأصل الذكور من طير الماء واحدها غرنوق وغرنيق سمي به لبياضه . و قيل : الكركي . والغرنوق أيضا : الشاب الناعم الأبيض . وكانوا يزعمون أن الأصنام تقربهم من الله وتشفع لهم فشبهت بالطيور التي تعلو في السماء وترتفع)[٥].(فإن الغرانيق هي الملائكة على قول وعلى آخر هي الأصنام ولا تنافي بينهما فإن المقصود بعبادتهم الأصنام : الملائكة والصالحين)[٦].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : (قد ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصة الغرانيق ، وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة ، ظنا منهم أن مشركي قريش قد أسلموا . و لكنها من طرق كلها مرسلة، ولم أرها مسندة من وجه صحيح، والله أعلم) [٧] .

وحقيقة الأمر أن اختلاق قصة الغرانيق من بعد عهد النبوة هي الإشاعة الحقيقة في هذا الموضوع، فكيف يكون للشيطان سبيل على ما يقوله الرسول عليه الصلاة والسلام فيتكلم بكلام و يدخله في كلام الرسول عليه

---

١ الإسراء: ٧٣
٢ الإسراء: ٧٥
٣ الحج : ٥٢
٤ جامع البيان (تفسير الطبري) – (١٧ / ١٨٦ ـــ ١٨٧)
٥ النهاية في غريب الأثر ـــ (٣ / ٦٧٠)
٦ تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ـــ (١ / ٢٤٤)
٧ تفسير بن كثير (٣ / ٢٩٩)

الصلاة والسلام ، فيختلط ما يبلغه الرسول عليه الصلاة والسلام بما يقول الشيطان ، (ورده ابن العربي بقوله تعالى حكاية عن الشيطان : ﴿ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ [1] ، فلو كان للشيطان قوة على ذلك لما بقي لأحد قوة قوة في طاعته) [2] وقد اتفق علماء المسلمين الأوائل وعلماؤنا المعاصرون على إنكار هذه الرواية ولم يتركوا هذا الموضوع يمر مر الكرام بل عالجوه بالدراسة والتمحيص ، ثم توصلوا أخيرا إلى تفنيده من جانبي الرواية والدراية .

وإني أرى أن الذي فعله العلماء المحققون هو أسلوب من أساليب علاج الإشاعة ، فإني أرى أن هذه الرواية ما هي إلا إشاعة يجب معالجتها وعدم تركها لتطعن في مقام النبوة وتهز من الثقة التي تمسك بها المسلمون بوحي نبيهم عليه الصلاة والسلام .

وقصة الغرانيق هذه أنكرها كثير من أهل العلم رغم شهرتها ، و ذكرها في كتب التفسير والتأريخ . وقد تداخلت روايات كثيرة تريد أن تفسر هذه الواقعة، وتجد لها وجها تقبل عليه .

ولكن أنى لتلك القصة أن تنطلي على جهابذة العلماء وقد تصدي لها الكثير، وفي ما يلي أمثلة على ما قالوه في هذا المقام:

وقد أنكر هذه الرواية الإمام العيني في كتابه عمدة القارئ ، فبعد أن رد الرواية سندا وضعف جميع أسانيدها قال في رد متنها : (الأمر كذلك فإن غالب هؤلاء مثل الطرقية والقصاص وليس عندهم تمييز يخبطون خبط عشواء ويمشون في ظلمة ظلماء وكيف يقال مثل هذا والإجماع منعقد على عصمة النبي ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة و لو وقعت هذه القصة لوجدت

---

١ إبراهيم : ٢٢

٢ فتح الباري ٨ / ٤٣٩ فتح الباري شرح صحيح البخاري أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي دار المعرفة ــ بيروت ، ١٣٧٩ تحقيق : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي

قريش على المسلمين بها الصولة ولأقامت عليهم اليهود بها الحجة كما علم من عادة المنافقين وعناد المشركين كما وقع في قصة الإسراء حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة) [١] .

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى : (وذكروا قصة الغرانيق وقد أحببنا الإضراب عن ذكرها صفحا لئلا يسمعها من لا يضعها على موضعها إلا أن أصل القصة في الصحيح ، قال البخاري : حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس قال : (سجد النبي صلى الله عليه وسلم بالنجم وسجد معه المسلمون و المشركون والجن والإنس) [٢] .

وإذا أعرض الحافظ ابن كثير عن ذكر هذه الرواية صفحا ، فإني أرى أن أذكرها للتنبيه عليها ، ولأن لها دخل في موضوع الإشاعة ، فكأنها إشاعة أشيعت لها أغراضها الدنيوية ، بدأت بكذبة ثم شاعت بين الناس ، و تطورت حتى أصبحت كأسطورة ، يتناقلها الآخر عن الأول كما أن بها ما يتعارض مع عصمة الأنبياء وحفظ الله لهم .

ومن الذين أنكروا هذه الرواية علي الحلبي بقوله : (وأما ما يرويه الإخباريون و المفسرون أن سبب سجود المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جرى على لسانه من الثناء على إلهتهم فباطل لا يصح منه شيء لا من جهة النقل ولا من جهة العقل ؛ لان مدح إله غير الله كفر ولا يصح نسبة ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أن يقول الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يصح تسليط الشيطان على ذلك ، وإلا يلزم عدم الوثوق بالوحي) [٣] .

---

١ عمدة القارئ في شرح صحيح البخاري ٧/ ١٠١

٢ سيرة ابن كثير (٢ ــ صفحة ٥٦) الإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير تحقيق مصطفي عبد الواحد طبعة ١٣٦٩هـ ــ ١٩٧١ م دار المعرفة للطباعة و النشر و التوزيع بيروت

٣ السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون – (٣٢٦/١)

ومن خلال قراءاتنا لما ذكره صاحب كتاب الروض الأنف نستشف من كلامه إنكار هذه الرواية : (وذكر ما بلغ أهل الحبشة من إسلام أهل مكة وكان كلامه باطلا وسببه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم فألقى الشيطان في أمنيته أي : في تلاوته عند ذكر اللات والعزى وإنهم لهم الغرانقة العلى وإن شفاعتهم لترتجى ، فطار ذلك بمكة فسر المشركون وقالوا : قد ذكر آلهتنا بخير فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخرها وسجد المشركون والمسلمون ثم أنزل الله تعالى : ﴿ **فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ** ﴾ الآية فمن هاهنا اتصل بهم في أرض الحبشة أن قريشا قد أسلموا ... وأهل الأصول يدفعون هذا الحديث بالحجة ومن صححه قال فيه أقوالا منها: أن الشيطان قال ذلك وأشاعه . والرسول عليه السلام لم ينطق به وهذا جيد لولا أن في حديثهم أن جبريل قال لمحمد : ما أتيتك بهذا ، ومنها : أن النبي صلى الله عليه وسلم قالها من قبل نفسه وعنى بها الملائكة : إن شفاعتهم لترتجى . ومنها : أن النبي عليه السلام قال حاكيا عن الكفرة وأنهم يقولون ذلك فقال متعجبا من كفرهم والحديث على ما حكيت غير مقطوع بصحته، والله أعلم)[1] .

وقال الزحيلي في تكذيب هذه الرواية : (لا يمكن أن يقبل عقل أو يصدق إنسان ، بتدخل الشياطين في الوحي الإلهي ، لأن الله قادر على كل شيء يمحق كل إفك ، ويحجب كل افتراء ، ولو جاز شيء من هذا ، لارتفع الأمان عن شرع الله ، وبطلت الأحكام والشرائع ، إذ لا فرق في العقل بين نقصان الوحي أو زيادته ، أو تشويه معالمه ، وهذا يبطل ما يسمى بقصة الغرانيق أي الأصنام ، التي زعم الوثنيون أن النبي محمدا أشاد بها القرآن فقال الغرانيق العلا ، وإن شفاعتهم لترتجى)[2] .

ومن المعاصرين الذين أنكروا هذه الرواية سندا ومتنا ، هو الشيخ محمد الأمين الشنقيطي بقوله : (اعلم : أن مسألة الغرانيق مع استحالتها

---

١ الروض الأنف (١- ١٧٧)

٢ التفسير الوسيط للزحيلي - ١٦٥٦/٢

شرعا ، ودلالة القرآن على بطلانها لم تثبت من طريق صالح للاحتجاج ، وصرح بعدم ثبوتها خلق كثير من علماء الحديث كما هو الصواب ، والمفسرون يروون هذه القصة عن ابن عباس من طريق الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، ومعلوم أن الكلبي متروك ، وقد بين البزار رحمه الله : أنها لا تعرف من طريق يجوز ذكره إلا طريق أبي بشر عن سعيد بن جبير ، مع الشك الذي وقع في وصله ، وقد اعترف الحافظ ابن حجر مع انتصاره لثبوت هذه القصة بأن طرقها كلها إما منقطعة أو ضعيفة إلا طريق سعيد بن جبير ... والحاصل : أن القرآن دل على بطلانها ، ولم تثبت من جهة النقل ، مع استحالة الإلقاء على لسانه صلى الله عليه وسلم لما ذكر شرعا ومن أثبتها نسب التلفظ بذلك الكفر للشيطان . فتبين أن نطق النبي صلى الله عليه وسلم بذلك الكفر ، ولو سهوا مستحيل شرعا ، وقد دل القرآن على بطلانه ، وهو باطل قطعا على كل حال) [١].

كما لا يفوتني أن الشيخ محمد ناصر الدين الألباني وهو من العلماء المعاصرين رحمه الله تعالى قد ألف كتيبا أسماه (نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق) يبطل فيه قصة الغرانيق هذه .

والحاصل أن عمل العلماء المسلمين في مناقشة هذه الرواية ، التي رواها كثير من المفسرين بالقبول والتعليل أو بالرد والتفنيد ، فكان أسلوبهم هذا من أساليب القضاء على الإشاعات .

وفي آخر هذه المسالة فإني اكرر تقريري أن هذه الرواية هي إشاعة أشاعها من جاء بعد عصر النبوة ، أو أن الذي ابتدأها هم من كفار مكة ، بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد ذكر آلهتهم بخير ثم ذكرها بسوء ، وأيا ما يكون الأمر فقد أفادنا علماؤنا السابقون في أسلوبهم هذا ، فلا مجال لمثل هذه الإشاعات أن تنتشر مع وجود الجهابذة .

١ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – ٥/٢٨٦

المبحث الثالث

إشاعـــة التبنـــي

كان العرب قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم عندهم عادة التبني ، ولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى إليـــه إلا عربيـــا مـــن أنفسهم ، ولأنه كان أكرم العرب فإنه تبني مولاه زيد بن حارثة في قصة هي أقرب ما تكون مثالية لا يمكن تكررها ، ولندع هذه القصة تأخذ مجراها في بحثنا هذا لندخل منها إلى موضوع الإشاعة .

(زيد بن حارثة حبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان غلامـــا لخديجة ، فوهبته له ، وجاء أبوه وعمه في فدائه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فهلا غير ذلك ؟ فأخيره ، فإن اختاركم فهو لكم . وإن اختارني، فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني أحدا ". قالا : قـــد رددنـــا علـــى النصف ، وأحسنت . فدعاه فخيره ، فقال : ما أنا بالذي أختار عليك أحداً . قالا ويحك يا زيد ! أتختار العبودية على الحرية ، وعلى أهل بيتك ؟ قال : نعم . لقد رأيت من هذا الرجل شيئا ما أنا بالذي أختار عليه أحدا أبدا ، فلما رأى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه إلى الحجـــر ، فقـــال : " أشهدكم أنّ زيداً ابني أرثه ويرثني " فلما رأيا ذلك طابت نفوسهما وانصرفا ، ودعي زيد بن محمد حتى جاء الله بالإسلام ، فنزلت : ﴿ **ادْعُوهُمْ لِآبَـــائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ** ﴾[1])[2] ، والمجتمع قد اعتاد على أن المتبني يأخـــذ حكـــم الولد الصلبي من جميع الوجوه ، فهو يرث ويكون محرما لبنات المتبنـــي ، فإذا تزوج الرسول صلى الله عليه وسلم مطلقة متبناه فإنه يكثر القيل والقال ، والرسول صلى الله عليه وسلم له واجب الدعوة ، فيستغل الناس تلك الحادثة في تشويه الدعوة ، وفي النهاية يعكر كل ذلك سمعة الدعوة الإســـلامية ، ومن مسيرتها الميمونة .

---

١ الأحزاب : ٥

٢ مختصر زاد المعاد – ١٦٧/١ – ١٦٨ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي المحقق : الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين ، والشيخ محمد بن عبد الله السمهرى

وقد وردت رواية في صحيح مسلم تبين كيف كان يعامل المتبني ، فقد كانوا يعاملونهم معاملة الأبناء من كل وجه، وفي الخلوة بالمحارم وغير ذلك ولما أبطل الله تعالى التبني تحرج بعض الصحابة من دخول الذين تبنوهم سابقا مع نسائهم، فعن عائشة رضي الله عنها : (.. لأن سالما مولي أبي حذيفة كان مع أبى حذيفة وأهله في بيتهم فأتت – تعني ابنة سهيل – النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : إن سالما قد بلغ ما يبلغ الرجل وعقل ما عقلوا به وإنه يدخل علينا وإني أظن أن في نفس أبى حذيفة من ذلك شيئا . فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم " أرضعيه تحرمي عليه ويذهب الذي في نفس أبى حذيفة) [١].

ولقد عالج الله تعالى قضية التبني بطريق معالجة الإشاعة ، فقد جعل نبيه الكريم يتزوج مطلقة متبناه زيد بن حارثة، فلا يبقي لكلام الناس شيئا بعد ذلك، (وقد كان يسمى بزيد بن محمد ، فرجع إلى أن سمي زيد بن حارثة اسم أبيه الأصلي)[٢].

ولعل من حكمة تلك الطريقة أن يقال أن الله تعالى أبطل عادة التبني ولم يجعل للتبني أي أثر شرعي أو قانوني ، وحتى ما كان بداية من فعل النبي صلى الله عليه وسلم فهو باطل ، ولذا أمر الله تعالى في البداية أن يتزوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش ، ومن ثم أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يتزوجها من بعده .

مسألة : الإشاعة التي نسجت على قصة إبطال التبني

وقد جادت قريحة بعض القصاصين لينسجوا قصصهم المختلقة وليجذبوا أسماع الناس إليهم ، فقد ذكروا أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى زوجة زيد بن حارثة متبناه [٣]فهويها ، وفي هذه اللحظة حدث الحب من أول نظرة ! والحقيقة أن زينب بنت جحش هي ابنة عم الرسول صلى الله عليه

١ أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب الرضاع – باب رضاعة الكبير – ١٤٦٩/٤ – ١٤٥٣

٢ تفسير بن كثير –٤٦٦/٣

٣ تفسير القرطبى ١٦٦/١٤

وسلم ، وكان يراها من صغرها ، ثم أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي أمر زينب بنت جحش أن تتزوج من زيد ابن حارثة ، وقد أراد زيد أن يطلقها ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم ، يأمره بإمساكها . **قال تعالى** ﴿ **وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ** ﴾[1] والقصة كما أوردها الطبراني في معجمه الكبير : (عن زينب بنت جحش قالت : خطبني عدة من قريش فأرسلت أختي حمنة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أستشيره ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين هي ممن يعلمها كتاب ربها وسنة نبيها؟، قالت : ومن هو يا رسول الله ؟ قال : زيد بن حارثة ؟ قالت : ومن هو يا رسول الله؟ قال : زيد بن حارثة ؟ ، قالت : فغضبت حمنة غضبا شديدا وقالت : يا رسول الله أتزوج بنت عمتك مولاك ؟ قالت : جاءتني فأعلمتني فغضبت أشد من غضبها ، وقلت أشد من قولها ، فانزل الله تعالى : ﴿ **وَما كان لمؤمن ولا مؤمنة إِذْا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون الخيرة من أمرهم** ﴾[2] قالت : فأرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقلت : إني استغفر الله وأطيع الله ورسوله ، افعل ما رأيت ، فزوجني زيدا ، وكنت أرثي عليه ، فشكاني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعاتبني رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم عدت فأخذته بلساني ، فشكاني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمسك عليك زوجك واتق الله ، فقال : يا رسول الله ، أنا أطلقها ، قالت : فطلقني فلما انقضت عدتي لم أعلم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل علي بيتي وأنا مكشوفة الشعر ، فقلت : إنه أمر من السماء ؟ فقلت : يا رسول الله بلا خطبة ولا إشهاد ؟ فقال : الله المزوج وجبريل الشاهد)[3] .

---

١ الأحزاب : ٣٧

٢ الأحزاب : ٣٦

٣ المعجم الكبير للطبرانى ٢٨٧/١٧-٢٨٨

هذه القصة كما وردت في كتب المتون والتفاسير وكتب السيرة فأين ما ذكر من أنه أحبها عندما رآها صدفة وقد كان عليه الصلاة والسلام يأمر زيد بن حارثة بإمساكها ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم من الله ما سيكون من أمر التطليق وأنها ستكون زوجته في نهاية الأمر .

والغريب أن ينقل السيوطي مثل هذا الكلام ويأخذه على عواهنه ، ثم لا يمحص الرواية بل الأغرب من ذلك يقارن بين هذه الرواية ورواية من الروايات الإسرائيلية ، وكأنه أيضا يقبل الرواية الإسرائيلية هي الأخرى ولا ينكرها ، فيقول السيوطي في تفسيره : (كما هوى داود النبي عليه السلام المرأة التي نظر إليها فهويها فتزوجها فكذلك قضى الله لمحمد صلى الله عليه وسلم فتزوج زينب كما كان سنة الله في داود أن يزوجه تلك المرأة ﴿**وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا** ﴾ [١] في أمر زينب)[٢] .

ولقد أورد صاحب كتاب روح البيان رواية إسرائيلية وربطها بهذه القصة من السيرة بقوله (أن داود عليه السلام رأى امرأة رجل يقال له : أوريا بن حنانا ، ويقال لها بنشاوع أو بنشاويع بنت شايع ، فمال قلبه إليها وابتلي بعشقها وحبها من غير اختيار منه كما ابتلي نبينا عليه السلام بزينب رضي الله عنها لما رآها يوما حتى قال: يا مقلب القلوب فسأله داود أن يطلقها فاستحى أن يرده ففعل فتزوجها وهى أم سليمان عليه السلام [٣] .

وهذا الذي أورده غريب فكيف يكون نبيا من الأنبياء يفعل مثل هذا الفعل الذي لو فعله شخص من عوام الناس لكان قبيحا في حقه .

وفي زماننا هذا نرى من لا يؤمن بكتاب الله تعالى ؛ وهو يطعن في شرع الله تعالى بأن يكرر ما ورد في ضعيف الروايات – وسبحان الله – نرى أن هذا الموضوع قد أخذ هذا المنحنى من ذلك الزمان وإلى زماننا ، فقد ورد في كتب التفسير والسير ما استنكره علماؤنا المسلمون في قصة هي

---

١ الأحزاب ٣٨

٢ الدر المنثور في التفسير بالمأثور بالسيوطى –٦١٤/٦

٣ تفسير روح البيان (١٣/٨) إسماعيل بن حقى الإستانبولي الحنفي الخلوتى

أشبه أحداثها للكذب منها للصدق ، ولكن في حقيقتها هي كذب وافتراء فلا السند يسعفها ، أما المتن فلا ينهض للحقيقة، فالذي أبداه الله تعالى وأخفاه الرسول في أول الأمر من علمه أن زيدا سيطلقها وأنه هو الذي سيتزوجها من بعده ، أما الحب الذي تذكره الروايات ، فليس هو الذي سيبديه الله تعالى .

وكانت عائشة تقول : (لو كان محمد صلى الله عليه وسلم كاتما شيئا مما أنزل عليه لكتم هذه الآية : ﴿ **وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ**﴾[1])[2] .

ومن العلماء من وضّح ما كان يختلج في قلب الرسول عليه الصلاة والسلام ، فهذا الحافظ ابن حجر [3] يقول : (أعلم الله عز وجل ونبيه صلى الله عليه وسلم ، بعد أنها من أزواجه فكان يستحي أن يأمر بطلاقها، وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب ما يكون بين الناس ، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمسك عليه زوجه وأن يتقى الله وكان يخشى الناس أن يعيبوا عليه ويقولوا تزوج امرأة ابنه وكان قد تبني زيدا) [4]

وبما أن المقام هو في إبطال عادة التبني فإن الله تعالى عقب على ذلك ، بما يجب على المجتمع المسلم حيال عادة التبني ، فالحق أن يدعى الإنسان إلى أبيه ، ولكن إذا لم يعلم من هو أب الإنسان على وجه التحديد، ففي هذه الحال لا ينسب إلى غير أبيه ولكن ممكن أن يقال مولي فلان؛ فهم أخواننا في الدين ومواليا، فالنسب في الشرع الإسلامي لا أحد يتدخل فيه لأن هذا الأمر من الله تعالى وحده ولا يمكن تغييره، كما أن الله تعالى جعل من لا يعلم من هو أبوه أخ للمسلمين في الدين ، وفي هذه اللفتة

١الأحزاب : ٣٧

٢ أخرجه مسلم في صحيحه – كتاب الإيمان – باب معنى قول الله .... – ١١٥٩ – حديث ١٧

٣ أحمد بن علي العسقلانى نسبة إلي عسقلان بفلسطين من أئمة العلم والتأريخ أديب وشاعر ومصنفاته كثيرة مولده ووفاته في القاهره سنة ٧٧٣-٨٥٢هـ الأعلام ١٧٨/١

٤ فتح البارى – ابن حجر – ٥٢٣/٨

الربانية قطع لدابر أية إشاعة ممكن أن تشاع ضد مجهول الأب ، لأنه في النهاية أخ لنا ، وفي آخر مطاف هذه التعليمات الربانية فيها رفع الله الحرج عن المؤمنين في حال الخطأ ، ولكن الإثم على من تعمد الخطأ .

بل إن الرسول صلى الله عليه وسلم حرم الانتساب إلى غير الأب ثم صدر ذلك الفعل باللعن ، عن علي رضي الله عن ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من ادّعى لغير أبيه ، أو انتمى إلى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا)[١] .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحاول أن يبعد عن نفسه إشاعة أنه تزوج امرأة متبناه ، ولكن الله بحكمته أراد أن يقضي على إشاعة التبني ، ولله الحكمة البالغة .

ولقد ربط الله تعالى بين قضية التبني وبين قضية الظهار إذ أن كليهما قضيتان اجتماعيتان ، وهما خلاف الواقع ، كما أن الله تعالى ربط هاتين القضيتين ، بما هو محال في ذاته ، ولا يدعيه أحد ، فكما أن يكون لأحد قلبين في جوفه ، فلا يمكن لأحد أن يكون له أبوان ، ولا يمكن للرجل أن تكون زوجته هي أمه في حال واحدة ! ﴿ **مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ**﴾[٢].

وفي نهاية هذا المبحث نرى كيف أن الله تعالى أراد أن يجعل جميع الأمور على حقيقتها، كما أرادها هو سبحانه، بأن يكون النسب حقيقيا لا يغير، وأن الزوجة هي الزوجة ولا تكون هي الأم، والله أعلم.

---

١ أخرجه مسلم في الصحيح – كتاب الع عتق – باب تحريم تولي العتيق غير مواليه – ١١٤٦/٢– حديث ١٢٧٠

٢ الأحزاب ٤

المبحث الرابع
الظهار كإشاعة في المجتمع

ليس الغرض من هذا العنوان هو دراسة الظهار تاريخه و ألفاظه المعتبرة والأحكام الشرعية المتعلقة به ، ولكن الغرض من ذلك إبراز الظهار كإشاعة لها تأثيرا على المجتمع المسلم ، وعلى الأسرة المسلمة التي هي اللبنة الأولى للمجتمع المسلم ، وكيف أن الإسلام قد قضى على ذلك كله.

وقد كان المجتمع المسلم الناشئ لا يزال متأثرا ببعض التقاليد القديمة التي عالجها الشرع الحكيم ، ومنها : التبني الذي ذكرنا آنفا ، وعادة الظهار التي سنتكلم عنها في مقامنا هذا .

ولقد كان الظهار في الجاهلية أشد من الطلاق باعتبار أن الطلاق فيه رجوع ، أما الظهار فإن المرأة لا ترجع للرجل في هذه الحالة إلى زوجها أبدا ، فتحرم عليه ولا يمكن أن يراجعها .

هذا وسنترك صاحبة قصة الظهار التي ذكرت في سورة المجادلة ، وهى خولة بنت ثعلبة تروى لنا ما حدث قائلة: (فيّ والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله جل وعلا صدر سورة المجادلة قالت : كنت عنده وكان شيخا كبيرا قد ساء خلقه وضجر قالت : فدخل علي يوما فراجعته في شيء فغضب وقال : أنت علي كظهر أمي ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة ثم دخل علي فإذا هو يريدني على نفسي قالت: قلت كلا والذي نفس خويلة بيده لا تخلص إليّ وقد قلت ما قلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه قالت : فواثبني فامتنعت منه فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف فألقيته تحتي ثم خرجت إلى بعض جاراتي فاستعرت منها ثيابا ثم خرجت حتى جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست بين يديه فذكرت له ما لقيت منه فجعلت أشكو إليه ما ألقى من سوء خلقه قالت : فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (يا خولة ابن عمك شيخ كبير فاتقى الله فيه) قالت : فوالله

ما برحت حتى نزل القرآن فتغشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يغشاه ثم سرى عنه فقال : (يا خولة قد أنزل الله جل وعلا فيك وفي صاحبك) قالت : ثم قرأ علي : ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ** ﴾ إلى قوله: قال تعالى: ﴿**وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مريه فليعتق رقبة) قالت : وقلت : يا رسول الله ما عنده ما يعتق قال : (فليصم شهرين متتابعين) قالت : فقلت : والله يا رسول الله إنه شيخ كبير ما به من صيام قال : (فليطعم ستين مسكينا وسقا من تمر) والله يا رسول الله ما ذلك عنده قالت: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فإنا سنعينه بعرق من تمر) قالت : فقلت : وأنا يا رسول الله سأعينه بعرق آخر وقال صلى الله عليه وسلم : (أصبت وأحسنت فاذهبي فتصدقي به عنه ثم استوصى بابن عمك خيراً) قالت : ففعلت) [١]

نجد في هذه الرواية كيف عالج الله تعالى هذا القول الذي هو منكراً من القول وزوراً ، وكان في أمر الجاهلية أشد من الطلاق ، بأن جعل له مخرجاً ، بل جعل من العتق أو الصوم أو الإطعام كفارة له ليكفر عما يقول من هذا الكلام .

ونرى أن مثل هذه الألفاظ قد تؤثر على العلاقات الطبيعية في المجتمع المسلم، فتوضع الأمور في غير نصابها ، فكيف تكون الزوجة هي الأم ، فتحرم على الزوج، فلا هي زوجة لها حقوق الزوجية ، ولا هي أم فتقوم مكان الأم ، وهل بعد هذا الفساد من فساد ؟!

١ أخرجه بن حبان في صحيحه –كتاب الطلاق –باب الظهار –١٠/١٠٧حديث ٤٢٤٢٧٩ وقال شعيب الأرناؤوط حديث صحيح رجاله كلهم ثقات صحيح بن حبان بترتيب بن بلبان محمد بن حبان بن احمد أبو حاتم التميمى البستى مؤسسة الرسالة –بيروت الطبعة الثانية ، ١٤١٤–١٩٩٣–تحقيق : شعيب الأرناؤوط

وقد وضع الشرع الحكيم لذلك علاجا فلم يترك الأمور بلا رادع فيقول كل إنسان أي كلام بلا تثبت ولا تحرج ، ولم يترك من لم يتخلص من رواسب الجاهلية بلا حل لمشكلته ، بل أخذ بالاعتبار ذلك كله ، فنجد أن الكفارة فائدتها متعدية على المجتمع ، بعتق الرقبة أو بالصيام –الذي يكبت شهوات النفس – أو بإطعام المساكين، وكل ذلك متعد بأثره الطيب للمجتمع كما هو واضح ، ولا يعود المظاهر إلى مثل تلك الألفاظ، كما أن لهذه الألفاظ التي أنكرها الشارع لا أثر لها حقيقي في الواقع ، فيبقى التبني والظهار قول بالأفواه : ﴿ **وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ** ﴾[1].

١ الأحزاب : ٤

الخاتمة

وبعد أن طوفنا في رحاب هذا البحث المتواضع يطيب لي أن أختم بما توصلت إليه من نتائج وتوصيات.

أهم النتائج المستفادة من البحث

١ خطر الإشاعة وعظم أثرها المدمر في المجتمع الإسلامي ، وإنها من أهم الأسلحة الفتاكة التي يستخدمها المنافقون في تدمير المجتمع .

٢ قد اهتم الشرع الحكيم بموضوع الإشاعة والقضاء عليها.

٣ المجتمع المسلم بيئة غير صالحة لابتداء الإشاعة وانتشارها.

٤ لم يخض المجتمع الإسلامي في المدينة- في مجمله- في الإشاعة.

٥ تكاتف المجتمع الإسلامي يؤدي إلى قمع الإشاعة .

٦ يزداد خطر الإشاعة في حالات منها الحروب وفي قذف الأعراض .

٧ نبهنا الله تعالى على أساليب اليهود في كتابه وهم اليوم يستخدمونها فيجب على أولي الأمر التنبه لذلك.

٨ استفاد العلماء المسلمون الأوائل ومن تبعهم من أمر الله تعالى بالتبيّن أو التثبت إن كان الناقل للخبر فاسقا في نقل الأخبار ومعرفة الصحيح منه من السقيم.

٩ الاشتغال بالمهم والصالح الذي ينفع الناس ، ويؤدي إلى ترك الاشتغال بتأليف الشائعات ونشرها .

١٠ حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك في إشغال الناس بالمفيد من العمل عن الإشاعات .

١١ من الحكمة أن تُنقض الإشاعة ويقضي عليها بشيء عملي إن كانت الإشاعة عامة ومنتشرة .

١٢ على المسلمين الاشتغال بذكر الله تعالى فإن ذلك يمنع الإشاعة من أصلها .

١٣ الاشتغال بذكر الله تعالى يمنع الإشاعة من أصلها.

١٤ يجب التثبت من الأخبار وعدم التسرع في الحكم عليها أو نشر ما يقال كي لا يلتهي الناس عن حقيقة الأمور .

١٥ التربية الإسلامية المبنية على الأخلاق المكتسبة من الكتاب والسنة كفيل بالقضاء على أصل الإشاعات والقضاء عليها.

١٦ الإعلام الهادف والواضح المتصل بالجماهير ، لا يدع مجالا للإعلام المخالف أن يدخل إلى قلوب المتعطشين للحقيقة ولا أن يستمعوا إلى الإعلام المخالف.

١٧ على أصحاب القرار في الدول الإسلامية أن يوظفوا الإعلام الإسلامي لتوضيح الحقائق ودحض الشائعات .

١٨ استخدام جميع الوسائل الإعلامية الحديثة والتقليدية لمنع الشائعات .

١٩ أوضح النبي صلى الله عليه وسلم قاعدة عظيمة وهي أن دعوى الجاهلية منتنة وليست من الشرع بشيء وتلك القاعدة لها أثر كبير في القضاء على الإشاعات المتعلقة بالمجتمع المسلم .

التوصيات

١ الإكثار من المؤلفات التي تبين للناس خطر الإشاعات ومصادرها وكيفية انتشارها وكيفية القضاء عليها.

٢ الاهتمام بالنشرات التثقيفية التي تبين عظم خطر الإشاعة.

٣ توظيف وسائل الإعلام المختلفة في بيان عظم خطر الإشاعة وكيفية تجنبها والحد من تأثيرها .

٤ تربية الناشئة على الصدق في القول والعمل وترك فضول الكلام والخوض في مالا يعنيهم.

٥ إدراج موضوع الإشاعة في مقرر التربية الإسلامية لتنبيه الناشئة على خطورة الموضوع فتكون لهم الوقاية منها ويتعلمون كيفية التصرف حيال الإشاعات وتفنيدها.

٦ وضع القوانين الرادعة لمروجى الإشاعات .

٧ تشديد العقوبات المتعلقة بالإشاعة في أحوال خاصة كالحروب أو المتعلقة بأمن الدولة .

ثانياً :
أصول الفقه